السَّيدةُ القدّيسةُ

مَريمُ العَذراء في القرآن الكريم

اعداد
إياد منصور حبيب

الخميس
٢٠١٥/٩/٣
١٨ ذي القعده ١٤٣٦هـ

★ السَّيدةُ القدّيسةُ مريم العذراء في القرآن الكريم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمدُ لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين .

اللهم إني أفتتح الثناء بحمدك وأنت مُسدّدٌ للصواب بمنّك .

السلام عليكم أيّها الأخوة الكرام ورحمة الله وبركاته .

إنّ موضوع السيدة القديسة المطهّرة مريم العذراء ع . أستقطبني كثيراً فحاولت أن أُحرّ فيه ما مكّنني به ربّي . فأرجو أن تكونوا معي في قاربٍ واحدٍ ونبضٍ واحدٍ حتى نصل الى ما نرجوه الله فيه وأعلموا أنّه لا فائدة إذا كان المتحدّث في وادٍ والمستمع في وادٍ آخر .
قال تعالى :

فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ الزمر .

فقال تعالى : يستمعون ولم يقل يسمعون أي الإنصات والتركيز والتدبّر .
وهي صفة أصحاب العقول كما وصفهم الله تعالى بـ (أولوا الألباب)

- أهمّية موضوع السيدة مريم ع . جاء من وروده في القرآن الكريم بشكل مفصّل في سورتي آل عمران وسورة مريم التي سُمّيت بأسمها الشريف سلام الله عليها
وكذلك وردت في سورة البقرة ٨٧ ، ٢٥٣ . والنساء ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧١
والمائدة ١٧ ، ٤٦ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦
والتوبة ٣١ والمؤمنون ٥٠ والأحزاب ٧ والزخرف ٥٧ والحديد ٢٧
والصف ٦ ، ١٤ وكذلك سورة التحريم آية ١٢ .

قال تعالى:

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾
صدق الله العظيم آل عمران

يقول العلماء:
إن الفترة من آدم - ع - الى نوح هي عشرون ألف عام ومن نوح الى محمد - ص - عشرون ألف عام أخرى ونحن الآن في عام ١٤٣٦ هـ أي أن مجمل عمر بني آدم ... ٤١ عام واحد واربعون ألف عام تقريبا.

فالله سبحانه وتعالى اصطفى أي اختار وانتقى برحمته هذه الصفوة المباركة من خلقه وعهد اليهم الدعوة والنبوة وختمهم بمحمد - ص - وبعثهم رحمة للعالمين ولم يترك الأرض بلا حجة سبحانه طيلة عمر بني آدم الذي استخلفه في هذه الأرض.
وكان عمران - ع - أبو السيدة مريم العذراء - ع - وآل عمران مع هذه الصفوة المختارة كما جاء في الآية المباركة أعلاه.

ما معنى كلمة مريم؟

كثيرٌ من العرب والمسلمين يُسمون - مَريَم - ولا يعرفون معناه !
فمعنى كلمة - مَريَم - تعني بالآرامية - العابدة - لأن أبوها عمران - ع - وأمها - حِنّا - ع كانا يتكلمان الآرامية .
وعمران - ع - هو أحد زعماء بني اسرائيل وعالماً من علمائهم وأمامهم في صلواتهم
يُعدُّ كبيرُ وشيخ كبير توفي أثناء حمل زوجته بمريم - ع - وقيل :
أن عمرها سنةٌ ومات أبوها ولما بلغت ثلاثُ سنواتٍ ماتت أمُّها - حِنّا - ع - فتكفلها زكريا - ع -
ومشكلةُ - حِنّا - زوجةُ عمران هي نفس مشكلة - اشياع - أختها زوجةُ زكريا فكلاهما زوجتان عاقرتان لشيخين كبيرين فتضرعت الى الله تعالى ليرزقها ولداً صالحاً نذرته ليخدم في الهيكل أو المعبد فكانت المفاجئة مريم - ع - أي أنثى وليس ذكراً كما كانت تتوقع .

وبدأت قصة مريم ـ ع ـ في سورة آل عمران قوله تعالى:

إذ قالت امرأت عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ﴿٣٥﴾ فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴿٣٦﴾

صدق الله العلي العظيم

هذا هو قول أم مريم نذرت ما في بطنها لله سبحانه (محررا) أي خالصا لله متخصصا في خدمة المعبد ولم تقل محررة ظنا منها أنه ولد فكانت المفاجئة أنها أنثى فقالت وهي تتأسف وتعتذر لله: ربي أنك تعلم إني وضعتها أنثى وإن الأنثى ليس كالذكر في تحقيق النذر، فهي نذرت ما في بطنها لخدمة المعبد والخدمة كانت مقصورة على الذكور فقط ولم يسبق أن خدمت أنثى في بيت المقدس، لذلك بقيت متحيرة فنذرها لا يمكن تحقيقه في الواقع طبقا للقوانين المرعية وهذا هو سبب قولها: وليس الذكر كالأنثى فلا تعني أن الذكر هو أفضل من الأنثى أي لا تقصد المفاضلة.

ثم قال تعالى:

فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا.

صدق العلي العظيم

فتقبل الله سبحانه وتعالى نذرها هذا وطهر مولودها السيدة مريم ـ ع ـ واصطفاها على نساء العالمين ورزقها وهي في محرابها من طعام الجنة ولم تدر أم مريم آنذاك أن مريم ستكون الأم للابن المعجزة الموعود سلام الله عليهما.

ثمّ أختار الله تعالى زكريا ـ ع ـ كي يتكفّل مريم ـ ع ـ وهو من النبيّين الصالحين العابدين وشيخ كبير في السن وزوج خالتها إذ كان أبوها عمران قد ودّع الحياة فجاءت بها أمّها الى بيت المقدس وقدّمتها لعلماء اليهود وقالت :
هذه البنت هدية لبيت المقدس فليتعهدها أحدكم .
فكان كلّ منهم يريد أن يحظى بهذا الفخر بوفي أحتفال خاص أختير زكريا ـ ع ـ ليتكفلها.
فكبرت مريم ـ ع ـ تحت رعاية زكريا وسنّ لها محرابا في المعبد وكانت غارقة في العبادة والتعبّد ، وكان هو الوحيد الذي يدخل عليها ويرعى شؤونها .
ويقول أبن عباس ـ حبر الأمه ـ :

عندما بلغت التاسعة من عمرها كانت تصوم النهار وتقوم الليل بالعباده وكانت على درجة كبيرة من التقوى ومعرفة الله حتى فاقت الأحبار والعلماء في زمانها .

ثمّ قال تعالى في سورة آل عمران أيضا :

كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ آل عمران
وكان كلّ ذلك تمهيدا لتلقي المعجزة الكبرى ـ والله أعلم .
فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء وغيرها وبدأت الأحداث تتوالى فتقرّب الى الله بدعاء خفيّ بينه وبين ربّه حيث كان يرغب في ذرية صالحة ولكنه شيخ كبير وأمرأته عاقر فطمع في رحمة الله عندما رأى ما وهب الله لمريم فنادى ربّه كما قال تعالى :
ـ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً
إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ
أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا
وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ ـ آل عمران

فبشرته الملائكة بأمر الله بمولوده المعجزة ـ يحيى ـ ع ـ وصفاته الخمسة
مصدقا بكلمة من الله : يؤمن بالمسيح عيسى بن مريم ويشدّ أزره بهذا الأيمان
وكان يحيى يكبر عيسى بستة أشهر وكان أول من آمن به .

وسيدا : قائدا بين الناس بالعلم والعمل مع أن الله تعالى آتاه الحكم صبيا بقوله تعالى:
ومصورا : عصم نفسه من الشهوات ونبيا والخامسة من الصالحين .

يحيى خذ الكتب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا ﴿١٢﴾ مريم

ثم قال زكريا ـ ع ـ كما جاء في قوله تعالى في سورة آل عمران أيضا :

- قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء ﴿٤٠﴾ آل عمران

سبحان الله والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وآله الطيبين الطاهرين.

حتى الآن نحن ما زلنا في سورة آل عمران وهي تحدثنا عن معجزة ولادتي مريم ويحيى عليهما السلام من أمين أختين عاقرين زوجة زكريا وزوجة عمران لبعلين شيخين كبيرين .

ثم قال تعالى في نفس السورة :

- وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴿٤٢﴾ يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴿٤٣﴾ . آل عمران

فتكررت كلمة اصطفاك مرتين فالاصطفاء الأول لبيان الاصطفاء المطلق والاصطفاء الثاني لبيان أفضليتها على سائر نساء العالم المعاصرة لها .

ثم قال تعالى :

- إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴿٤٥﴾ ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ﴿٤٦﴾ قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴿٤٧﴾ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴿٤٨﴾ آل عمران

وسمّاه الله تعالى بـ - عيسى ابن مريم - وكلمة الله أي أمر الله أي خُلِقَ وولد بأمر الله بمعجزة خارج قوانين الطبيعة التي خلقها الله تعالى .

فالمعجزة لها أمران تحدث

١- بلا أسباب

٢- بلا زمن أي تحدث بلا ناموس وإلا لما كانت معجزة ، والمعجزة تكمن بين الكاف والنون قوله تعالى: إنما أمرُهُ إذا أراد شيئًا أن يقولَ له كن فيكون .

وسمّاه تعالى بالمسيح أي مسح عنه الدّنسَ والإثمَ وطهّرَهُ .

أولأن عيسى ع - كان يمسحُ بيده الشريفه على المرضى الميؤوس من شفائهم فَيُشفيهم بأذن الله وهذه الكرامة قد خُصّصت له منذ البدايه لذلك سمّاه الله تعالى - المسيحَ - قبل ولادته.

لذلك وردت في قوله تعالى على لسان المسيح عيسى ابن مريم :

أَنِّي جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ آل عمران مسوّاة العظيم

أخوتي الأعزاء ..

أبونا آدم ـ ع ـ خَلَقَهُ اللهُ تعالى من طين من غير أب ولا أم في ستة مراحل:
كما ورد في القرآن الكريم .

١ـ أولاً :
من تراب ، كما جاء في قوله تعالى :

إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ آل عمران

٢ـ ثانياً :
من طين ، كما جاء في قوله تعالى :

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ المؤمنون

كما أخبرنا الله تعالى بقوله :

وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ السجدة

٣ـ ثالثاً :
من طين لازب ، كما جاء في قوله تعالى :

إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ الصافات

أي من طين لين رخو وصفه الله تعالى باللزوب لأنه تراب مخلوط بماء .

٤- رابعًا :
من حمأٍ مسنون ، كما جاء في قوله تعالى :

وَلَقد خَلَقنَا الأنسنَ من صَلصَلٍ مِّن حَمَإٍ مَّسنُونٍ ﴿٢٦﴾

أي من طين أسودٍ متغيّر كالذي يُترك للتخمّر فيتغيّر لونه .

٥- خامسًا :
من صلصالٍ كالفخّار ، كما جاء في قوله تعالى :

خَلَقَ الإنسنَ من صَلصَلٍ كالفخّارِ ﴿١٤﴾ الرحمن

٦- سادسًا :
نفخُ الروح ، كما جاء في قوله تعالى :

إذ قال رَبُّكَ للملئكةِ إنّي خلقٌ بشرًا مّن طينٍ ﴿٧١﴾ فإذا سوّيتُهُ ونفختُ فيهِ مِن رّوحي فقعوا لهُ سجدين ﴿٧٢﴾ ص

صدق الله العظيم

وقال تعالى في سورة الحجر

وإذ قال ربُّكَ للملئكة إنّي خلقٌ بشرًا مّن صلصلٍ مّن حمإٍ مّسنونٍ ﴿٢٨﴾ فإذا سوّيتُهُ ونفختُ فيهِ من رّوحي فقعوا لهُ سجدين ﴿٢٩﴾ الحجر .

صدق الله العظيم .

نعود الى خلق عيسى ع . حيث خُلق كما خُلق آدم ع . من تراب فنُفخ فيه الروح فكان أبونا آدم ع . من غير أب ولا أمّ وكان عيسى ع . من أمّ بلا أب فهو عيسى بن مريم ع . جعله الله تعالى بمعجزة أصبحت آية لكل الناس ورحمة .

والآية طبعًا هي المعجزة ودليل القدرة الإلهيّه .
وأنا وأنت خلقنا من أبٍ وأم .

نلاحظ تعاقب المعاجز الواحدة تلو الأخرى ابتداءً من خلق مريم ـ ع ـ وهي جنين في بطن أمّها وولادة يحيى ـ ع ـ من أم عاقر وأب شيخ كبير الى ولادة عيسى ـ ع ـ من غير أبٍ بل من أمٍ عذراء عابدةٍ راكعةٍ ساجدة ذي الخمسة عشر ربيعًا .

حيث جاء في قوله تعالى في سورة مريم :

واذكر في الكتب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا ﴿١٦﴾ فاتخذت من دونهم حجابًا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا ﴿١٧﴾ قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا ﴿١٨﴾ قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلامًا زكيًا ﴿١٩﴾ قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيًا ﴿٢٠﴾ قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرًا مقضيًا ﴿٢١﴾ مريم

سيدنا ابن عباس ـ حبر الأمة ـ يصف هذا البشر السوي بأنه :
شاب أبيض الوجه ، أسود الشعر ، عظيم البنيه ، مليح القسمات ، بهي الطلعه بغم إنه سيدنا جبريل ع ـ فلما رأته فزعت فاستعاذت بالله منه من هول المفاجئه وهي لا تعرفه وكان عمرها ١٥ ـ خمسة عشر سنة أي قالت : إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تتقي الله سبحانه أي ذكرته بالتقوى وخشيت أن يريبها سوءًا فقالت : إني أعتصم واستعين والتجاء الى الله منك وجواب الشرط محذوف تقديره ـ إن كنت تتقي الله فاتركني ولا تؤذيني ـ وجرى بينهما ذلك الحوار المقدس فأجابها :
إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلامًا زكيًا

وانتهى الحوار وانتهت الآيات بقوله تعالى :

وكان أمرًا مقضيًا

نعم قضي أمر الله وانتهى وخضع كل شيء لأمره ، ونفخ في جوفها فحملت وما إن انتهى جبريل ع ـ من الياء والألف في كلمة ـ مقضيًا ـ حتى جاءت مباشرة

كلمة - فَحَمَلَتْهُ - في قوله تعالى :

فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ مريم .

وهذا دليل على إنّ الحمل كان آنيًا أي فورًا تحققت المعجزة ولم تستغرق وقتًا أبدًا وذُكرت آراءٌ مختلفةٌ في مُدّة الحمل فقيل - ٦ - ستة أشهر وقيل - ٧ - سبعة أشهر وقيل - ٨ - ثمانية أشهر وقيل - ٩ - تسعة أشهر بل قيل كل ما يتخيّله العقل البشري ولكنّنا نميل الى قول ابن عباس - حبر الأمّة - حيث قال :

ما إن حَمَلَتْهُ فوضَعَتْهُ .

ودليله من القرآن طبعًا :

لاحظ إنّ كل الأفعال التي وردت بعد قوله تعالى : - وكانَ أمرًا مقضيًّا - كانت قبلها - فاء العطف -

فَحَمَلَتْهُ - فَٱنتَبَذَتْ - فَأَجَآءَهَا - فَنَادَىٰهَا - فَكُلِى - فَقُولِى .

فاء العطف في هذه الأفعال لا تدلّ على الواو أو ثُمّ بل تدلّ على الترتيب والتعقيب مع تسارع الزمن وهذا دليل قول ابن عباس : ما إن حَمَلَتْهُ فوضَعَتْهُ .

خرجت وعادت الى قومها تحمله بنفس اليوم وكانت امرأةً عفيفةً ظاهرةً ، قديسةً عابدةً فعرفت إنها ستُمتحَن بهذا المولود ؛
كيف يكون لها غلامٌ ولم تتزوج ولم يَمسّها بشرٌ فأصابها الحزن بعد أن وضعته

لأنها عرفت أن الناس لن يصدقونها في خبرها هذا وستصبح عندهم شيئاً آخر بعد أن كانت عندهم الصديقة العابدة الناسكة لذلك حزنت وتمنت الموت فقالت:

يٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًا ﴿٢٣﴾ مريم

فناداها ربها على لسان جبريل ع-

أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ مريم

الخوف والحزن كلاهما مشاعر إنسانية ولكن لماذا ورد في قوله تعالى - أَلَّا تَحْزَنِي - ولم يقل لها - الا تخافي - الا تقلقي - ؟ بل قال لها: الا تحزني
ما الفرق بين الحزن والخوف؟
الفرق بينهما كبير ودقيق فالحزن يحصل على شيء أليم قد حدث وانتهى أي أصبح ماضيا أما الخوف فهو قلق لشيء أليم متوقع حدوثه أي لم يحدث بعد، بل مستقبلاً.
لذلك فإن الحزن هو التعبير البليغ والدقيق في قوله تعالى: الا تحزني بدلاً من - الا تخافي - فما أن وضعته انتهى الخوف وأصبح الحدث أمراً واقعاً فبدأ الحزن.
فقال لها ربها:

قد جعل ربك تحتك سريا

أي فجر أمامك عين ماء عذب فجرى جدولاً ثم ناداها ربها على لسان جبريل ع مرة أخرى:

وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ﴿٢٥﴾ مريم

أي حركي جذع النخلة المتكئة عليها وكانت يابسة فأحياها الله وأمرها ليتساقط عليها الرطب الطري فهزت هذا الجذع القوي وكان بيدها كالريشة،
فتوالت أمامها المعاجز الواحدة تلو الأخرى ليريها الله تعالى من آياته الأخرى ليسكن ألمها ويهدأ روعها ثم قال لها تعالى:

فكلي واشربي وقري عينا

فَكُلي واشربي واهنأي وطيبي نفساً ولاتحزني فقد أصبحت أمّا لمولود عظيم
ذلك عيسى بن مريم رحمة لبني اسرائيل خاصة وللناس عامه .

ثمّ أتت الى قومها تحمله فلمّا رأوها وابنها أعظموا أمرها واستنكروه وقالوا
لها : يا أخت هارون في الصلاح والعبادة ، وهو رجل صالح من بني اسرائيل مشهور
بالصلاح والعباده كانوا يشبهونها به ، وكذلك أبوك كان رجلاً صالحًا
وأمك امرأة صالحة فأنت من بيت طاهر معروف بالصلاح والعبادة ،
فكيف يصدر منك هذا !!؟
كما جاء في قوله تعالى :

- فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ
مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ
مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾

فأشارت الى مولودها وهي صامتة صائمة كما أمرها الله تعالى .
فقالوا : كيف نكلّم طفلاً رضيعًا ؟ وكان عيسى ع - يرضع في حضن أمّه
فترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه الشريف وكلّمهم فقال كما جاء في كتابه الكريم :

- قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ
وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾
وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ
قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۖ إِذَا قَضَىٰ
أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ مريم

صدق الله العلي العظيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الخميس ٢٠١٥/٩/٣
١٨ ذي القعده/١٤٣٦هـ